

الرياض بين نيودلهي وتل أبيب

خليل العناني

خبر صغير نشرته صحيفة هارتس الإسرائيلية، قبل يومين، مفاده بأن السعودية ستسمح للخطوط الجوية الهندية باستخدام مجالها الجوي في رحلاتٍ مباشرةً بين نيودلهي وتل أبيب، وهي المرة الأولى، بحسب الخبر، التي تسمح فيها السعودية بإجراءٍ كهذا خلال العقود السبعة الماضية.

الهدف المعلن لتسهيل الرحلات هو تقصير مسافة الرحلة بين الهند وإسرائيل بحوالي ساعتين عن الرحلة المعتادة التي تمر عبر أفغانستان وباكستان. بيد أن هذا ليس الخبر الجديد، وإنما هو السماح السعودي بذلك أن يحدث، في ظل عدم وجود تطبيع رسمي بين الرياض وتل أبيب، وفي ظل رفض الرياض، على مدار العقود الماضية، مرور أي طائراتٍ في أجواها تكون وجهتها إسرائيل.

الخبر الذي نفاه مسؤول سعودي في الهيئة العامة للطيران المدني، في تصريح لوكالة روترز الإخبارية، هو الأخير في سلسلة من الأخبار المشابهة التي ازدادت بوتيرة كبيرة خلال الفترة الماضية بشأن التقارب السعودي الإسرائيلي. وهو خبر كاشف للتغيير منظومة العلاقات في المنطقة وتحالفاتها الإقليمية، ويعكس أريحيةً سعوديةً واضحةً في التقارب المتواصل مع إسرائيل.

وفي الوقت الذي تنفي فيه السعودية هذه الأخبار، تتحدث إسرائيل، بوضوح غير مسبوق، عن تحالفها الجديد مع الرياض، ولا يتوقف رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، عن التفاخر بهذا الأمر الذي يستخدمه، باعتباره إنجازاً لدعم بقاء حكومته في السلطة.

وإذا وضعنا هذا الخبر إلى جانب مجموعة أخرى من الأخبار التي تتردد بقوة عن قرب إعلان "صفقة القرن"، والتي تلعب السعودية فيها دوراً محورياً، باعتبارها رأس حربة في ترويج هذه الصفقة عربياً وإسلامياً، يتضح لنا مدى الاختراق الذي حققه إسرائيل في الأوساط الرسمية العربية، والذي لم يعد سراً، أو مدعاه لخجل البلدان العربية المنخرطة في هذه الصفقة الشائنة ومسؤوليتها.

وهي الصفقة التي يروّج بعضهم أنها سوف تفتح الباب واسعاً أمام تطبيع شامل وعام مع إسرائيل من دون أي مقابل. وهو ما يذكّرنا بالأذوبة الكبرى التي رافقت توقيع اتفاقيات أوسلو أوائل التسعينيات عن التطبيع الاقتصادي، و"الخير الكثير الذي سوف يعم على شعوب المنطقة من ورائها"، والذي كشفت الأيام

أنه كان مجرد وهم وسراب كبير.

ويبدو أن مواطنين سعوديين كثيرين لن يلتفتوا إلى الخبر، فهم مشغولون بموضوع محاربة الفساد الذي يدّعى ولي العهد، الأمير محمد بن سلمان، القيام به، كما أنه ليس لديهم الوقت الكافي لمتابعة هذه الأمور "التابهة"، في ظل الانشغال بحفلات الترفية والتسلية التي أصبحت الآن من الفرائص والطقوس الشهرية، بعد أن كانت من المحرّمات.

ولن يكترث الإعلام السعودي بالخبر، أو يتناوله ولو بقدر من التغطية المحايدة، في ظل انشغاله في معركته "المصغيرة جداً جداً" مع "الدولة المجاورة" قطر.

ولن يعقد الخبراء الاستراتيجيون في الرياض مقارنةٍ بين فتح الأجواء السعودية أمام الطائرات المتوجهة إلى تل أبيب، وإغلاقها في وجه أشقائهم وإخوانهم في قطر.

وهذه الأمور والقضايا مجرّد شكليات وتوافق أمام المهام والتحديات الخطيرة التي تشكلها قناة الجزيرة على منطقة الخليج.

لم يعد مستغرباً ما نراه من هرولة عربية فاقعة تجاه إسرائيل، ولم يعد صادماً أن يقدّم لها بعض الحكام العرب تنازلاتٍ مجانية سراً وعلناً على حساب الفلسطينيين، ولن يكون مفاجئاً أن نصحو قريباً على خبر مفاده "تسخير أول رحلة طيران من الرياض إلى تل أبيب"، ولم لا؟

* د. خليل العناني أستاذ العلوم السياسية الزائر بجامعة جونز هووبكنز الأمريكية.

المصدر | العربي الجديد